دراسة توظيف السنة وتفاعلاتها في رواية البئر لإبراهيم الكوني

طالبة الدكتوراه مونا ولايي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، فرع طهران المركزي، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
mona.valaei2020@gmail.com
الكاتبة المسؤولة: سندس كردآبادي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، فرع طهران المركزي، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران
soundos_ka@yahoo.com

Examining the function of tradition in the novel "Al-Bair" by Ibrahim Al-Koni

Mona Valaei
Department of Arabic literature , Tehran Central Branch , Islamic Azad University , Tehran , Iran
Soundos Kordabadi (Corresponding Author)
Department of Arabic Literature , Tehran Central Branch , Islamic Azad University , Tehran , Iran

الملخص:-

رغم أنّ كثيراً من الروائيين والأدباء العرب زيّنوا قصصَهم بمكانيزمات التجديد الأروبية، ولكن كان إبراهيم الكوني الروائي الليبيايي الشهير مائلاً إلى السنّة في كثيرٍ من رواياته وكان يسعي أن يظهرَ الثقافة القديمة والقيمَ السنية. بعبارة أخرى وضعَ المحور الرئيس في رواياته للسنّة وجعَلَ التجديد و مظاهره في الهامش أو أبدي التوظيفات السلبية للتجديد نصبَ أعين النّاس. تعدّ رواية "البئر" الرمية لإبراهيم الكوني إحدى رواياته الأربعة المسمّاة بـ "رباعية الخسوف" التي يوظّف ملّ الشخصيات فيها بصورة سنية ويصوّر لنا القيم والثقافة السنتية. تنقسم هذه المقالةُ بنمطه الوصفي – التحليلي إلى قسمين، الأوّل: الجهة النظرية والثّاني الجهة التوظيفية. نتطرّق في الجهة النظرية إلى توظيف مظاهر السنّة وماهيتها ومظاهرها، كما نتطرّق في الجهة الثانية إلى مقارنة التفاعلات الثقافية والاجتماعية والسياسية بواسطة الشخصيات القصصية. استنتجت المقالةُ أنّ الكاتب له نزعة رمزية في التفاعلات السنتية نحو "الصحراء" أو "البئر" و... ومال إلى "محاربة النساء" و "الحقوق المدنية" في الجهة الاجتماعية، كما انصرفَ من الجهة الثقافية إلى "القضاء والقدر" و "الخرافة" في شخصية "شيخ غوما" و "زنجي"، وكذلك نشاهد نزعة الميل إلى الكلّ وأيضاً "توتاليتر" في شخصية "غوما" من البعد السياسي.

الكلمات المفتاحية: السنّة، البئر، إبراهيم الكوني.

Abstract:-

Despite many Arab novelists and writers who have been influenced by European modernity and embellished the foundations of their stories with its mechanisms and manifestations, the famous Libyan novelist Ibrahim Al-Koni has been traditionalist in most of his novels. It has been around them to chart traditional and ancient culture, thought and values. In other words, in the text of his stories, he puts tradition at the center of the story and either puts modernity and its effects in the shadows or shows a negative function of it to the audience. Al-Bair's novel, which has a mysterious feature, is one of Al-Khosuf's four novels, Al-Khasof's Quartet, by Ibrahim Al-Koni, whose characters each have a traditionalist function and depict classical values and culture for us. Based on the descriptive-analytical method, this article consists of two parts: A- Theoretical dimension: In this section, we deal with the function, species, nature and manifestations of tradition. B- Functional dimension: In this section, we will apply the actions of tradition, including: cultural, sociological and political action with the characters of the story. As a result, the author has had a more symbolic tendency in the actions of tradition, which is manifested in icons such as "Al-Sahara" or "Al-Bair" and so on. Sociologically, it tends to be "anti-feminist" and "civil rights", and in cultural activism it uses "totemism, totalitarianism", "destinyism" and "superstition" in the mirror of the characters of "Sheikh Ghoma" and "Zanji" and in political action, too, we see the approach of "totalitarianism" and "totalitarianism" in the character of "Ghoma."

Key words: tradition, Al – Bair, Ibrahim Al – Koni.

المقدمة:

إنّ السنة مجموعة من الآداب والرسوم والعاملات والثقافات في المجتمع التي تستولي على ذلك المجتمع على مرّ العصور وتصبح ملازمة له. بعبارة أخرى ((إنّ السنة أحاسيس ومعتقدات تنقل من جيلٍ إلى جيلٍ بصورة جماعية. التعامل السنّتي هو تعاملٌ يتكرّر في الجوانب المعيّنة. يرى كيدنز أنّه من العناصر الهامّة للسنّة التي تشكل نواتها هي الآداب والرسوم والتعاملات التي تظهر بواسطة النشاط والعواطف (فاضلي وحسيني، ١٣٩١ش: ١٦٠).

إنّ السنّة ظاهرةٌ اجتماعية يراها "ماكس وبر" من التفاعلات الاجتماعية ويري بأنّ التفاعلات الاجتماعية لها أربعة أقسام؛ التفاعلات العقلية المعطوفة على الهدف، التفاعلات العقلية المعطوفة على القيَم، التفاعلات العاطفية والتفاعلات السنّتية. إنّ التفاعلات السنتية من وجة نظر وبر هي تفاعلات يبادر النّاسُ بها دون أي سبب إلّا أنّها من القيم القديمة واللازمة. من هذا المنظور تكون التفاعل السنّتي هو معاملةٌ بدون واسطة العقل؛ فعلي هذا الأساس لا يندرج التفاعل السنّتي في إطار التفاعلات العقلية (صادقي فسايي و شريفي ساعي، ١٣٩٣ش: ١٠١). فعلي أساس نظرية ماكس وبر حول التفاعل السنّتي يمكننا أن نلخّص جوهر السنّة في عناصر عديدة نحو النزعة إلى الجمع والتقدير والخرافة والأسطورة والربّ وغير ذلك.

رغم أنّ ماكس وبر كان يثبت الأصالة للتجديد، ويجعل السنّة خارج الإطار العقلي، ولكن كان أنتوني كيدنز يخالف ماكس وبر؛ إذ كان يعدّ السنّة ظاهرةً سيّالةً ويحسبُ التجديدَ حصيلتها.

عرض المقالة:

تكون رواية "البئر" من الروايات الأربعة لإبراهيم الكوني المسمّاة بـ "رباعية الخسوف" التي تظهر فيها السنّة وتفاعلاتها بصورة واضحة. إنّ الشخصيات التي اختارَها الكاتب في هذه الرواية تظهر أي منها بدورها بعضاً من ظواهر السنّة؛ فلذلك تكون دراسةُ هذه الرواية من حيث توظيف السنّة وتفاعلاتها تظهر لنا بعض الجوانب الكامنة من هذه الرواية إضافةً إلى أنّها تعتبر خريطةً للذين يريدون أن يقدوا بهذه المقالة.

سؤال البحث:

أي من تفاعلات السنّة تكون أظهر من الأخرى في هذه الرواية؟

فرضية البحث

نفرض أنّ تفاعل النزعة إلى الأسطورة تكون أظهر من التفاعلات الأخرى في هذه الرواية.

خلفية البحث

هناك دراسات وبحوث عديدة حول توظيف السنّة ولكن لا صلة لهذه المقالة بتلك البحوث والدراسات. بعض تلك الكتب في هذا المجال هو ((كاركرد سنت در شعر معاصر عرب)) تأليف احمد عرفات الضاوي ترجمة سيد حسين سيدي، منشورات جامعة فردوسي بمدينة مشهد الإيرانية. أشارَ المؤلّف في هذا الكتاب إلى توظيف الأساطير المختلفة في مؤلّفات عبدالوهاب البياتي، أدونيس، صلاح عبد الصبور و...، والكتاب الأخير في هذا المجال هو ((توظيف التراث في الرواية المعاصرة)) تأليف محمد رياض وتار، منشورات اتحاد كتاب العرب. بادرَ الكاتب في هذا الكتاب ببيانِ ماهيةٍ عامّةٍ للسنّة وبعض من الروائيين المعاصرين لاسيّما إبراهيم الكوني الذي عرفَه بالإيجاز. الدراسة الأخرى هي مقالة ((بازتاب سنت و تجدد در قصر الشوق نجيب محفوظ))، لسعيد حسام پور، مجلة "نقد ادب معاصر عربي"، تطرّقَ الباحثُ إلى مشكلةِ السنّةِ والتجديد ومحاورها. وفي مجال رواية "البئر" أيضاً كتبت مقالةٌ بعنوان ((سيميائية المكان في رواية البئر لإبراهيم الكوني)) لرجاء أبو على و أكرم حبيبي، مجله اضاءات نقدية (فصلية محكمة)، تطرّق الباحثان في هذه المقالة سيميائية المكان وأقسامه من منظور علم النّفس و... في رواية "البئر".

السنة وهويتها

إنّ السنّة عنصر اجتماعي يأخذ المعنى بالنسبة لنقيضها وهو التجديد. مع أنّ كثيراً من العلماء اعتبروا السنة والتجديد ظاهرتين متضادّتين، ولكن كلّ منهما يكمّل الآخر وتكون النسبة بينهما هي الملازمة، حيث يقتضي وجود كلّ منهما الآخر. بعبارة أخرى ((إنّ السنّة ظاهرة مجهولة بصورة مطلقة لا يمكن ظهورها إلّا في مراة التجدّد)) (فيرحي، ١٣٨٧: ٣٩).

يقال في تعريف التجديد أنّ ((نظرية فيرويد وداروين حول مبدأ الإنسان الكشف عن الوعي واللاوعي، نظرية الكمال الفيزيولوژي، وقوع الحربين العالميتين المدمّرتين التي أدّتا إلى اليأس والعزلة والشعور بالعبث في النّاس سبّب في إيجاد فكرةٍ وتيّار أصبح القيم السنّتية دون دي معنى، ورغم الرقي الكبير في المجالات العلمية والمادبية والرفهية، أدّي الفاسد الأخلاقي المنتج من هذه الإنتاجات إلى بثّ السؤال حول هذا الرقي وهو أيضاً سحقَ جميع الأخلاقيات الاجتماعية ونسيان القيم الإنسانية والمعنويات المقدّسة. سمبي هذا العصر بـ "عصر التجديد")) (قاسم زاده و دي‌گران، ١٣٩٦: ١٨٢).

ومن جانب آخر يمكن دراسة السنّة من حيث اللغة والاصطلاح:

أ: السنّة في اللغة: إنّ كلمة tradition هي ما تعادل "السنّة" في اللغة العربية (جهانب‌گلو، ١٣٨٧: ٢٠٦). من الألفاظ الفارسية التي تعادل كلمة "السنّة" هي ((سيره، طريقه، طبيعت، وجه، صورت و دوام. فإذن إنّ السنّة في اللغة الفارسية بمعنى الطريق والنَمَط؛ سواءً كانت الطريق حسنةً أو سيئةً (محسنيان راد، ١٣٩٧: ١٥).

إنّ لغة "التراث" هي أيضاً تعادل لفظة "السنّة"؛ نحو ما نرى في عبارة ((أمتعني بسمعي وبصري واجعله الوارث مني، أى أبقه معي حتى أموت)) (الفيروز آبادي، ١٤٢٦ق، ٢٣٩). وكذلك جاء في القرآن الكريم ((و تأكلون التراث أكلا لما)) (فجر: ١٩).

ومن المنظور الاصطلاحي يرى بعض من علماء الاجتماع نحو ماكس وبر بأنّ السنّة هي ((مجموعة من المعتقدات التي يمكن نقلها من جيلٍ إلى جيل)) (وبر، ١٣٦٧: ٣٩). إنّ أنتوني كيدنز العالم الاجتماعي الإيطالي يقول في تعريف "السنّة" ((السنّة يلصق الأنظمة الاجتماعية الجديدة بالأخري. السنّة هي التفكير الجديد الحقيقي الذي له أولياء وله إلزامات خلاف ما نشاهد عند عامّة النّاس ويمزج المحتويات الأخلاقية والعاطفية. إنّ الأولياء الذين هم الأكابر المذهبيون ولهم أهمية بالغة في تنفيذ السنّة؛ لأنّهم يعتقدون بالعوامل ولزوم الشفاعظ المستدلّة لقدرة السنّة)) (حاجي حيدري و متقي زاده؛ ١٣٩١: ٤٤). هناك في مجال السنّة تعاريف خاصّة عند الكتّاب العرب. يرى ضياء العزاوي في هذا المجال: ((هناك لأيّ شعبٍ سنّةٌ وسنّة أيّ شعبٍ هي مجموعة من التاريخ المادّي والمعنوي)) (عزاوي، ١٩٧٥:٣٤).

توظيف السنة وتفاعلاتها

إنّ بعض النّاقدين كالعزّاوي يقسّمون السنّة إلى قسمين:

١- التوظيف العام أي في الارتباط مع الواقع والمشاكل والموانع التي تقابلها الشّعوب.

٢- توظيفها في المستوي التجديدي بصورة عامّة والتجديد الشعري بصورة خاصبة. ولكن في المستوي الأوّل بالنّظر إلى قرائة السنّة تعيبَنَ أنّ القراءة إذا كانت واعيةً، تصبح عاملاً للتقدّم. ولكن في المستوي الثّاني في الصلة مع التجديد بصورة عامّة، إنّ المجالات السنّتية والعناصر الأسطورية والتاريخية والنصية، يسوق المتجدّدين إلى أسباب الحياة واستمرارها (عرفات الضاوي، ١٣٨٤ش: ٢٣).

إنّ ما يهمّنا في هذه المقالة هو توظيف السنّة في مستوي التجديد الذي يؤدّي إلى خلق الآثار الددبية نظماً كانَ أو نثراً. وفي مجال تفاعلات السنّة يجب أن نقول المراد منها نفس التبعات التي يُحصَل من جوهر السنّة، هناك فيما يلي أتينا ببعضها.

إبراهيم الكوني (الماهية الاجتماعية، الموقع الفنّي والنزعة الأدبية)

إنّ إبراهيم الكوني من الكتّاب العرب المشهورين المعاصرين الذي له مؤلّفات عديدة لاسيّما بصورة الرواية. وُلد سنة ١٩٤٨م في غدامس جنوبي الليبيا وانتسب إلى قبيلة الطارقي وسكن في صحراء "فزان" (الكوني، ٢٠٠٨م: ١٨٧-١٨٥).

هناك لإبراهيم الكوني موقع فنّي وأدبي لافتةٌ للنظر بين الروائيين العالميين لاسيّما الروائيين العرب. ((هو روائي له ذشراف على التراث العربي الإفريقي. له خيال وسيع يمزج بالبيان القوي والجميل والأسلوب الفريد في كتابة القصّة. إنّ الأسلوب الفريد لهذه الرواية منحَه موقعاً بارزاً، ولو أنّ الإيرانيين لم يهتموّا به كما يليق)) (نوحه گر، ١٣٩٤: ٨٢ با تصرف).

إنّ النزعة الأدبية الخاصبة بإبراهيم الكوني هو الرمزية؛ فهو صوّرَ حقيقةَ الكونِ والإنسانِ والزمانِ والمكانِ مستفيداً بعناصر الطبيعة نحو الصحراء والبئر والجبل والتعابير الرمزية. من منظور آخر أنّ التصوير الذي يرسم إبراهيم الكوني في قصصه هو تصوير سنّتي، حيث يميل ذهنُ المخاطب بعد قراءتها إلى السنّة العربية وما فيها كالأطلال والدّمن.

إنّ استحضار الشخصيات التراثية واستخدام الأماكن الكلاسيكية نحو البئر والصحراء و... في خلق التصاوير الأدبية في أشعاره يبيّن أنّه كان ينزع إلى السنّة في أدبه.

على هذا الأساس يجب القول بأنّ ((يمكن مشاهدة اختلاط الواقع مع التاريخ والأسطورة في مؤلّفات إبراهيم الكوني. والجو الغالب على قصصه هو جوّ الصحراء البعيدة التي بواسطتها أثّر في الأفكار العامّة للنّاس ولاسيّما أفكار العرب. قد جعل الكوني الواقع التاريخي والاجتماعي والثقافي على صفة جوهر محور التخييل ومن ذلك المنطلق يبني جوبَ روايته)) (عثمان، ١٩٩١م: ٢٢٧-٢٢٨).

ملخص رواية "البئر"

تبدأ هذه الرواية بقصبة حبّ "إماستان" مع "تاراة" فتاة من قبيلة "كيل آبادا". كانا يلاقيان في كلّ جمعة بجنب السدرة الكبيرة بصورة خفية. كانت إماستان مصرّاً على الزواج بتاراة رغم مخالفة أمّه. ولكن كانت قبيلته تمنعها عن هذا الزواج وأدبت هذه المخالفة إلى قتل تاراة لنفسها بجانب موعدهما دي السدرة الكبيرة، وانطلق إماستان إلى الصحراء حتى كشفَ رئيس القبيلة أي الشيخ غوما عن مكان إماستان بعد البحوث العبثة عن حفيده "آيس".

القسم الآخر من الرواية تبدأ من أنّ "تانس"، "أماريس"، و "تالا" هاموا في الصحراء. ثمّ ذبَح "اماريس" و "تالا" أخويهما من شدّة الجوع والعطش، ولكن امتنع تانس من هذا الأمر. حتى مرَّ الملك يوماً بهم ورأي وجهَ تانس في البئرِ وخَطَبَها. ولكن أنّ المرأة الأولى للملك قرَّرَ أن تنتقم من تانس. ثمّ رَمَت بها إلى وادٍ ولبسَت ألبسَتها وطلب من الملك أن يعدمَ أطلانس أخ تانس؛ إذ عرَفَت أنّ أطلانتس سيفشي الحقيقة في أي زمنٍ كان. عندما حان وقت إعدام اطلانتس، ذهبَ إلى جانب الوادي ونادي تانس. خرجَ صوا تانس من البئر، فأنقذَه، وأُعدمت المرأة الأولى للملك بسبب عملها القبيح تجاه تانس. بعد ذلك حقد الملك بالنسبة إلى إخي مرأته الثانية أي تانس وتركه في الوادي، ولكن وجدَ الأخُ الملك وقتلَه، حتى خرج اطلانتس يوماً للصيدِ ولم يعُد بعدُ. ثمَّ وجدَ جثمانه ومن شدّة الحزنِ قرّر أن ينتقم من الصحراء. ثمّ وقع خسوفٌ يجري الجوع والجفاف في كلّ مكانٍ.

تفاعلات السنة في رواية "البئر"

إنّ الجوهر الرئيس في روايات "إبراهيم الكوني" لاسيّما رواية "البئر" تتعلّق بالسنبة

والنزعة إلى القديم وتبعاتها؛ بعبارة أخرى كان الهدف الرئيس في أكثر رواياته هو إحياء السنّة وقيمها وتبعاتها وأبعادها. يمكن دراسة أبعاد السنّة وتفاعلاتها في المحاور التالية:

١- التفاعل الثقافي

الثقافة تشمل مجموعة من المعتقدات والمعاملات والرسوم؛ بعبارة أخرى أنّ ((الثقافة تشمل الفنّ، والأدب، والعلم، والخلائق، والفلسفة والدّين)) (لوكاس، بي تا: ٤). إنّ ما يُدرَسُ في هذا المجال هو قضية الدّين الذي يمكننا دراستها في المحورين الرئيسين:

١- ١- التوتم (totem): إنّ التوتم هو ظاهرة ثقافية التي كانت تجري في القبائل الأفريقية، وهو في الواقع رمزٌ يخلقُ الأرضيةَ المناسبةَ للقبائل ويظهر في هيئة الحيوانات والأشياء. ((إنّ علماء الأنثربولوجية هذا المصطلح أساساً لعملهم وسمّوه التوتم)) (دورانت، ١٣٧٦ش: ٢٥).

إنّ ما وقع في رواية "البئر" على صفة التوتم وله القيمة القدسية لأهل القبيلة هو "الصحراء" التي هي قدسيةٌ للجميع وهم ينظرون إليها نظرة خاصّةً. هناك لهذه الظاهرة حضورٌ بارزٌ في حوارات الشخصيات للرواية المدروسة؛ على سبيل المثال: ((ومضي البعض يقول إنّ ذلك الرجل [الرجل الذي عم الهرج والارتباك] هو شبحٌ أرسله الله ليحذر إماستان ويهزأ من زواجه عقاباً له على ما اقترفت يداه من خيانةٍ ضد الصحراء)) (الكوني، ١٩٩٠م: ١٧٢).

في هذا المجال يصوّر الكاتبُ رمزيةَ الصحراءوقدسيتها في خلال تعبير "خيانة الصحراء". إنّ خيانة الصحراء تنشأ من هذا المعتقد أنّه لما سبَّبَ إماستان إلى قتل باتا لنفسه، وهذا الأمر من حيث أنّ الصحراء تعتبر توتمه فهو يعدّ خيانة. في موضع آخر تظهر هذه الظاهرة بصورة أخرى ((الدفاع عن الصحراء واجبُ الجميع...)) (نفس المصدر: ٣٨). إنّ أهمّ ما أدبي إلى أن نعتبر الصحراء توتماً في هذه الرواية هو الدفاع عن صيانتها التي فَرَضها أهل ذلك البلاد لأنفسهم.

إنّ التوتم الآخر الذي له ظهور بارزٌ في هذه القصة هو "السدرة الكبيرة". كان لهذه الشجرة موقع خاص ووجهة مقدّسة عند قبائل العرب. اختصّ العربي في العصر الجاهلي

قداسة خاصبة لهذه الشجرة وجعلها من خلال آلهته)) (عجينه، ١٩٢٤م: ٢٧٤). "السدرة الكبيرة" هي توتم آخر لها كمية عالية في هذه القصّة واهتمّ الكاتب بها في هذه القصبة. تكمن أهمية هذه القصة في أنّ العشّاق ومنهم إماستان عدّوه مكاناً لوصال المحبوب وجعلوا له حرمة كبيرة؛ لذلك أنهوا حياتهم وبادروا بقتلهم أنفسهم. ((فإن الفتاة نفسها قد انتحرت تحت السدرة الكبيرة حيث كانا يلتقيان(((الكوني، ١٩٩١م:٢٥).

٢ - ١ - **النزعة إلى التقدير (fatalism):** يقال في التفكير الإسلامي حول النزعة إلى التقدير أنّ ((العالم المطلق، هو القادر المطلق والمختار المطلق، ويحقّق ما يريد بطرفة عينٍ. من جانب آخر إنّ الوقائع الأخيرة والراهنة والمستقبلة مضبوطة في اللوح المحفوظ وهي مقدّرةٌ على أساس الإرادة الإلهية)) (موسوي كريمي، طهراني حائري؛ ١٣٩١: ١٥٣-١٥٤).

مع التّدقيق في رواية "البئر" ندرك أنّ جوهر الرواية هو الغاية والنزعة إلى التقدير. إنّ غوما الذي هو شيخ القبيلة الذي كان يذكر الله ويوصل غاية الأمور ونتائجها إلى الذات الإلهي: ((قال الشيخ غوما وهو يتوقف عن الضحك ويمسح عينيه الدامعتين: استغفر الله. فليغفر لنا موتانا ذنوبنا الصغيرة)). (الكوني، ١٩٩١: ٧٧).

نرى في موضع آخر من الرواية بصورة واضحة: ((ويعلم الله أيضا أني شككت في أمره... ولكن لا دفع للمكتوب)) (نفس المصدر: ٢١٢).

٣ - ١ - الاعتقاد والخرافة (استحضار الغائب)

من العناصر الثقافية الأخرى التي لها حضورٌ بارزٌ في هذه الرواية واستفاد منها إبراهيم الكوني لفتح عقد الرواية هي الاستناد بالمعتقدات القبلية السنّتية. إحدى هذه المعتقدات هو الاستحضارء.

في هذه الرواية التي انطلق إماستان فيها إلى الصحراء بسبب عدم الوصال إلى المعشوق، يتمسّك شيخ غوما إلى الاستحضار لأن يجده. يتّضح هذا الأمر في قسمٍ من القصّةِ بصورة واضحة:

((لقد فهمت، تقصد الاستحضار! استحضار الغائب! لقد سمعت أن الشرط الاول هو صبية صادقة وطاهرة، وكنت أفكر في زارا ابنة باتا. لاستحضار طرق وأساليب عديدة.

طريقة الصبية الصادقة من ضمنها طبعاً. وهناك تجمع النساء عند قبور الأولين ليلاً، وهناك طريقة الطفل الصادق...)) (نفس المصدر: ٢٨).

الاستحضار في الحقيقة هو بمعنى استدعاء الشخص الغائب الذي له حضورٌ خاصٌّ في الثقافة السنّتية لاسيّما في القبائل السنّتية. في العصر الجاهلي الذي كان الشّاعر علماً للقبيلة أمام القبائل الأخرى، كان له القدرة الفريدة من وجهة نظر كثيرٍ من النّاس ويبادر بأعمال خارقة للعادة.

بعبارة أخرى ((كان للشّاعر قدرةٌ على استحضار الغائب وجعلَ غيرَالموجودِ موجوداً)) (المقدسي، ١٩٩٢م: ٣٤). من هذا المنطلق نرى في هذه الرواية أنّ العجوزة بادرت بالاستحضار مستفيدةً من الطفل المعصوم - آيس - ويكشف مكان إماستان لشيخ غوما. هذا بمعنى أنّ الاستحضار أنّ الاستحضار لم يختلف جوهره عمّا كان في العصر القديم، بل كان من منظر تحقّق الأرضية يختلف عنه بعض الاختلاف. ولكن هذه المعتقدات إمّا أن عدمت تماماً وإمّا أن امّحت إلى حدٍّ ما في العصر الحديث بسبب استيلاء التجدّد.

٢- التفاعل الاجتماعي: من منظور علم الاجتماع يجب القول بأنّ الجوامع الموجودة في هذه الرواية لها شكل قبلي وهذا الأمر يبيّن الشكل السنّتي لها؛ إذ كان يحكم هذا النظام الاجتماعي على النّاس. يمكن الكشف عن تبعات هذه السنّة في المحاور التالية:

٢ - ١ - الظلم على النّساء: إحدى المحاور الهامّة الاجتماعية التي له موضع متناقض في الجوامع العربية من القديم حتى الآن، هو المرأة وحقوقها الاجتماعية. في المجتمع القديم - العصر الجاهلي - كانت المرأة منفورة بشدّة، ولم يكن لها موقع اجتماعي؛ فلذلك أنزلت آيات حول الدفاع عن حقوق المرأة في المجتمعات العربية في العصر الجاهلي. إنّ المرأة في هذه الرواية لها منزلة دانية بالنسبة إلى العصور الماضية. على سبيل المثال:

((بل السبب امرأة! نعم. حيثما تُوجَد المصائب فثمةَ رائحةُ امرأة)) (الكوني، ١٩٩٢م: ٢٥).

تبدأ الرواية بحبّ "إماستان" بـ "باتا". بادَرَ إماستان بسبب ضربه من خطيب عشيقته وللانتقام عنه بمساندة السّارقين لخطف الفتاة، ولكن لم ينجح. بعد أن قتَلَ باتا نفسَه بجانب السدرة الكبيرة، وقعت مشاكل بين القبيلتين واعتبرها الشيخ غوما عيباً للقبيلة، ونسبَها إلى

المرأة وعدّها مصدرَ المصائب.

كأنّه يخاطب نفسه: وصلت لهذه القناعة منذ زمن بعيد. النساء أصلُ كل بلاء! (نفس المصدر: ٢٥).

هذه النظرة السّالبة لـ "غوما" بالنسبة للمرأة لها جذرٌ في البنية الاجتماعية المعارضة للمرأة في العصر الجاهلي والإسلامي تنبع منها، ولو أنّ المرأة لها المنزلة الاجتماعية والحرية الكثيرة لها في العصر الرّاهن.

٢ - ٢ - الحقوق المدنية: رغم أنّه توجد الحقوق والوظائف المتساوية بين أعضاء المجتمع أو العائلة، ولكن تكون الحقوق المسيطرة على جوّ هذه الرواية بصورة غيرمتساوية، وهذا الأمر موجود في الهرم الاجتماعي الموجود بصورة واضحة تماماً. إحدى هذه الأمور هو مشكلة اختيار الزوج وهي بارزةٌ في شخصية "إماستان".

إنّ إماستان الذي كان يقصد الزواج بـ "باتا"، واجَهَ امتناع الأمّ والأخ: ((أنا أمك ولا أريد لك سوي الخير...إن اخاك غوما لن يوافق...لا يهمّني رأي غوما... ولكنه اخوك الأكبر وولي أمرك. وفوق ذلك هو شيخ القبيلة ورأيه نافذُ المفعول)) (الكوني، ١٩٩٢م: ١٧).

بما أنّ "إماستان" قصَدَ الزواج بـ "باتا" مع المخالفة بإرادة أمّه وأخيه - الشيخ غاما - ولكنّه لم يصل إلى أمنيته فانطلق إلى الصحراء. بالتدقيق فيما مضي يتّضح أنّه هناك نوعٌ من الجبر الجماعي في جوّ الرواية حيث تكون إرادة أي شخصٍ معطوفاً بالآخر - في إطار الأسرة والقبيلة - وفي نهاية الأمر انتهي إلى شيخ القبيلة - غوما -، هناك فيما يلي مظهرٌ آخر للجبر الاجتماعي:

((قالت باتا بلهجة مفاجئة: هيا ابك. لماذا لا تبكين؟ إن كل الفتيات يبكين في مثل هذا اليوم حتى يشبعن بكاء!...علينا مراعاة تقاليد القبيلة حتى لا يغضب الشيخ غوما)) (نفس المصدر، ١٩٤).

إنّ ما يظهر لنا في التعابير الماضية الجبرَ الاجتماعي هو السنّة القبلية التي تتبلور قمّة هذا الجبر في شخصية "غوما". ولكن إنّ "باتا" يؤاخذ ابنته حتى تبكي. في الواقع يكون هذا الأمر منتج عن نوعٍ من الجبر الاجتماعي؛ إذ يستلزم بكاء أيّ فردٍ بكاء الآخر.

٣ - التفاعل الاجتماعي: إنّ السياسة الغالبة على جوّ هذه الرواية تبتني على "توتاليتر". مع أنّه هناك هيئة مستشارة متشكلة من شيخ جبور وخليل و...، ولكن إن الشخص الذي تقع إرادته متواليةً مع إرادة أشخاص المجموعة ويعتبر كلامه فصل الخطاب، هو الشيخ غوما.

((ثم نهض فجأةً قال بصرامةٍ عليكم بتنفيذ ما أمرت به وسوف نلتقي في المساء لبحث بقية التفاصيل. ثم هبَّ خارجاً)) (الكوني، ١٩٩٢م: ٣٥).

تنبع عقدة الرواية من أنّ باتا قتل نفسَه لأجل إماستان، ثمّ كاتَبَ رئيس القبيلة مع الشيخ غوما وأخبرَه عن هذه المسألة. إنّ الشيخ غوما الذي اعتبَرَ هذه المسألةَ ذلّةً للقبيلة، تشكلَ جلسَةً حتى يطّلع عن آرائهم حولَه، ولكن بعد الاستطلاع عن آرائهم، حمَّل عليهم آراءه وأجبَرَ أعضاء الجلسةِ على تنفيذها؛ على هذا الأساس كان نوع الحكومة المتمركزة وتقسيم القدرة بين الشيوخ، وكانت قدرة الشيخ غوما على رأس الأمور.

في مجال توزيع القدرة يجب الإذعان بأنّ نوعاً من عدم العدالة في هذا المجال؛ بعبارة أخرى يظهر القول عن تركيز القدرة في شخصية "الشيخ غوما". يتّضح هذا الأمر في زوايا لبرواية بصورة واضحة:

لكن غوما عاد إلى لهجته الجدية. قال وهو يلتفت إلى الشيخ خليل: أعتقد أن بقاءك أمر ضروري لحماية البيوت..سنبقي لك مائة مقاتل...! (نفس المصدر: ٥٧).

التعابير الماضية تعبّر عن أنّ الشيخ غوما كان على رأس القدرة ويوجّه بالأمور الاجتماعية و... بصورة خاصّة. بعبارة أخرى كان الشيخ غوما على أعلي درّاجة القدرة إمّا في مسائل القبيلة وإمّا في القضايا النظامية ويبادرُ بحل القضايا وفصلها.

النتيجة:

على أساس ما مضي في هذه المقالة، يمكننا دراسة النتائج فيما يلي:

- **البعد الثقافي:** سعي إبراهيم الكوني في هذا المجال أن يصوّر الثقافة الإسلامية التي تتشكل شاكلته من الصلاة والقرآن والمناجاة وذكر الله في بنية الشخصيات السنّتية بصورة تمامة، حتى يذكر المجتمعَ العربي السنّةَ العربيةَ القديمةَ في بحبوحة عصر

التجديد وسلطة الصنعة. كانت نزعته هذه منبعثةً عن تعارض روحه مع الثقافة الحاصلة عن التجديد التي كانت إزاء السنّة الإسلامية، وكان يصدّد أن يحيي السنّة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، لاسيّما في المجتمع العربي المعاصر. إنّ كثيراً من شخصيات رواية "البئر" كانت رمزاً من الثقافة السنّتية التي تصوّر كلّ منها بعضاً من القضايا السنّتية الخفية للمخاطب.

- **البُعد الاجتماعي:** في هذا المجال قد جعلَ الكوني المجتمع القبلي الذي يعدّ أصغر بنية اجتماعية للسنّة العربية محوراً لرواياته وصوَّرَ الدبعاد الاجتماعية العربية على هذا الأساس. إنّ الظلم إزاأ المرأة من المحاور الاجتماعية الهامّة التي قد اهتمّ بها الكوني في هذه الرواية. تنبع أهمّية هذا الأمر من أنّ الرواية المدروسة تبدأ بقضية حبٍّ بين إماستان و باتا وانتهت هذه القصّةُ بقتل باتا لنفسه وأصبحَ بدايةً لبعض النزاعات بين قبيلة شيخ غوما و كيل آباد. من منظور علم الاجتماع نرى نوعاً من عدم التساوي بين النساء والرّجال، وإنّ فرراق مجتمع النّساء في هذه الرواية وكذلك نظرة الشيخ غوما إلى المردة تبيّن هذا الأمر.
- **البعد السياسي:** من هذا المنطلق هناك نوعٌ من الجبر السياسي في جوّ الرواية؛ إذ جميع القرارات ولو كانت تُطرَح في القبيلة ولكن هناك شخصٌ ثالثٌ على رأس الهرم السياسي وله دور استراتيجي ومؤثّر.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

١. اشرف نوحه گر، اكرم (١٣٩٤ش). ((بررسي و تحليل عناصر داستان رمان اهل غرق منيرو رواني پور و رمان الورم ابراهيم الكوني))، استاد راهنما: محمد حسين سرداغي، دانشكده علوم انساني، دانشگاه بين المللي امام خميني.

٢. جهانبگلو، رامين (١٣٧٣ش). زماني براي انسانيت بشر، چاپ اول، تهران، نشر ني.

٣. حاجي حيدري، حامد؛ متقي زاده، على (١٣٩١ش). ((بازسازي الگوي باز انديشي گيدنز بر مبناي مواضع اخيرتر او راجع به سنت))، مجله مطالعات و تحقيقات اجتماعي در ايران، دوره ١، شماره ٣، صص٤١-٨٣.

٤. دورانت، ويل (١٣٧٦ش). تاريخ تمدن، ترجمة احمد آرام و ديگران، تهران، انتشارات علمي و فرهنگي.
٥. صادقي فسايي، سهيلا؛ شريفي ساعي، محمد حسين (١٣٩٣ش). ((تقابل سنت و مدرنيته؛ كشمكشي گفتماني در الگوي بازنمايي))، نشريه زن در فرهنگ و هنر، دوره ٦، شماره ١، صص ٩٥-١١٨.
٦. عثمان، اعتدال (١٩٩٨م). ((قراءة استطلاعية في أعمال إبراهيم الكوني))، مجلة الفصول، العدد٤، صص ٢٢٧-٢٣٤.
٧. عرفات الضاوي، احمد (١٣٨٤ش). كاركرد سنت در شعر معاصر عرب، مترجم سيد حسين سيدي، چاپ اول، مشهد، انتشارات دانشگاه فردوسي.
٨. العزاوي، ضياء (١٩٧٥ش). ((كيف نعيد قراءة التراث قراءة معاصرة))، مجلة المعرفة، شماره ١٦١، صص: ٣٢-٣٨
٩. عجينة، محمد (١٩٢٤م)، أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الفارابي، ط١، بيروت، لبنان.
١٠. فاضلي، مهبود؛ حسيني، فاطمه سادات (١٣٩١ش). ((سنت و مدرنيته در رمان همسايه ها))، فصلنامه علمي- پژوهشي پژوهش زبان و ادبيات فارسي، شماره ٢٧، صص ١٥٩-١٧٦.
١١. فيرحي، داوود، تابستان و پاييز (١٣٧٨ش). ((سنت و تجدد دو الگوي معرفت شناختي در تحليل دانش سياسي مسلمانان))، مجله نقد و نظر، سال پنجم، شماره سوم و چهارم، صص: ٣٤-٥٤
١٢. قاسم زاده، رضا و ديگران (١٣٩٦ش). ((چالش سنت و مدرنيته در رمان اهل غرق منيرو رواني پور))، مجله زبان و ادب فارسي، سال ٧٠، شماره ٢٣٥، صص ١٨١-٢٠٣.
١٣. الكوني، ابراهيم (2008م). الورم، مؤسسه العربية للدراسات والنشر.
١٤. ـــــــ (١٩٩١م). الخسوف ١ (البئر)، الطبعة الثانية، دار التنوير للطباعة و النشر.
١٥. لوكاس، هنري (١٣٨٧ش) تاريخ تمدن، ترجمه عبدالحسين آذرنگ، تهران: سخن
١٦. الفيروزآبادي (١٩٩٩م- ١٤٢٠ه). القاموس المحيط، طبعه جريده لونان، منشورات محمد بن بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
١٧. محسنيان راد، مهدي؛ نگهبان مروي، مرضيه (١٣٩٧ش). ((بررسي و تحليل سنت، مدرنيته و شرايط جوامع در حال گذار در كتاب شازده حمام))، فصلنامه تخصصي زبان و ادبيات فارسي، دوره ١٤، شماره ١٣، صص ١١-٣٠).
١٨. المقدسي، انطون (١٩٩٢م). العقلانية العربية والمشروع الحضاري، الطبعة الأولى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.
١٩. موسوي كريمي، ميرسعيد؛ طهراني حائري، حميده (١٣٩١ش). ((حافظ، تقديرگرايي سازگارگرا))، مجله پژوهش هاي ادب عرفاني (گوهر گويا)، سال ششم، شماره سوم، صص ١٨٢-١٤٩.
٢٠. وبر، ماكس (١٣٦٧ش). مفاهيم اساسي جامعه شناختي، مترجم احمد صدارتي، تهران، نشر نگاه.